أصل عام اليوبيل

تمهيد: الدكتور يوسف فوزي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

بمناسبة اليوبيل الفضي لكلية الآداب[1] التابعة لجامعة بغداد كان أحد الأخوة الزملاء الأفاضل قد طلب منا أن نقوم باعداد نبذة قصيرة عن أصل كلمة «اليوبيل». وقد قمنا بذلك فعلاً نزولاً عند رغبة الزميل الكريم. غير أن كلمتنا تلك المعنونة: «ما أصل اليوبيل»؟. لم تنشر في أوانها. لذلك، وتعميماً للفائدة، رأينا من المناسب أن نتوسع ونتعمق، ولو قليلاً، في مجال البحث في كل ما يتعلق بهذا الموضوع. لا سيما أن أحدا من الكتاب العرب لم يتطرق إليه بالبحث العلمي الرصين، حتى يومنا هذا، على ما نعلم.

ويتناول بحثنا هذا؛ أولاً دراسة تاريخية وموضوعية ولغوية لليوبيل. وثانياً نشر النص العبري التوراتي الخاص باليوبيل مع ترجمته العربية والتعليق عليه كلما دعت الضرورة. يلي ذلك مقارنة موجزة.

أولاً: الدراسة

اليوبيل لدى اليهود

يبدو أن العادات والقوانين التي ينص عليها اليوبيل قد كانت،

كلياً أو جزئياً، سائدة في العهد البابلي القديم[٢]. وهو معاصر للزمان والمكان اللذين فيهما تربى إبراهيم الخليل صبيا غضا، ثم نزح مع أبيه شاباً يافعاً، حاملاً معه تراثاً شعبياً غنياً من بلاد أكّد. ويتفق الباحثون على أن إبراهيم كان معاصراً للملك حمورابي (١٨٠٠ ق. م)، وإن لفظة «يوبيل» وردت لأول مرة في التوراة العبرية: وفي سفر اللاويين بالذات[٣]. وعليه فلا بد لنا من أن نقول كلمة وجيزة من أجل تعريف هذا السفر للقراء الكرام.

لم يأخذ سفر اللاويين شكله النهائي، وكما هو الآن، إلا بعد جلاء بابل. بيد أنه يحتوي على عناصر قديمة جداً ومتوارثة، يرقى عهدها إلى أيام موسى النبي، الذي أدى رسالته السماوية حوالى منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. لكن فصوله (١٧ - ٢٦)، وهي الحاوية لسنة اليوبيل والمسماة بشريعة القداسة، قد دوّنت هي وسننها في أواخر العهود الملكية اليهودية على ما يبدو. ولقد تم ذلك عند نهاية القرن السابع وفي بداية القرن السادس قبل الميلاد، أعني قبيل حقبة الجلاء البابلي بصورة مباشرة[٤].

إن السنوات المقدسة التي يتحدث عنها الفصل الخامس والعشرون من سفر اللاويين - وهو يخص اليوبيل - تؤكد شرائعها هيمنة الله على الأرض المقدسة بصورة مطلقة. إذ يجب أن يعطل كل ما وكل من قطن تلك الأرض[٥]. ولقد ظهرت سنة عطلة الأرض منذ أن أبرم الميثاق في صحراء سيناء[٦]. ثم أن سفر اللاويين وضّح ذلك بجلاء[٧]: حيث قضى بعدم زراعة الأرض واستغلالها بأي شكل كان في خلال السنة السابعة. وهذا يعني لزوم العودة دورياً إلى الحياة البدوية بأشكالها البسيطة كافة. وقد أضاف سفر التثنية إلى هذا كله وجوب ترك الديون وإزالتها تماماً[٨]. كما ينبغي تحرير العبيد العبريين قاطبة، بعدما تمر سبع سنين على عبوديتهم، بدون التقيد بسنة عطلة الأرض[٩].

إلا أن اليهود ما كانوا يحافظون على مثل هذه الأحكام، ويثبت

ذلك ما ورد في أرميا النبي[١٠]. وتخفيفاً لقساوتها، فلقد مدّدت دورتها إلى خمسين عاماً بدل السبع سنين، أي إلى عام اليوبيل[١١]. وسمّي عام التحرير ذاك «يوبيلاً»، لأنه كان يعلن بصوت هتاف البوق[١٢].

ولقد كان عام اليوبيل يبتدىء في يوم الكفارة، حيث كان يدق البوق في كل أرجاء البلاد[١٣]. وهكذا كانت تعلن السنة المقدسة المكرسة للرب بالراحة وممارسة الصوم والتوبة الصادقة الشاملة في يوم الكفارة[١٤]. من هنا نفهم أن عام اليوبيل لدى العبريين كان يبدأ في فصل الخريف، أي في اليوم العاشر من الشهر السابع[١٥]، بعد أن يكون الشعب كله قد أنهى الحصاد وجنى الثمار واستسلم للراحة، ثم قصد أن لا يستأنف الحراثة والزراعة كالمعتاد. علمًا بأن الشهر الأول من السنة العبرية هو شهر أبيب، وفيه كان يقام احتفال عيد الفصح[١٦]. فإذاً، لقد كانت السنة عندهم تبدأ في فصل الربيع، وذلك على النهج الفارسي[١٧]، ولربما المصري القديم أيضاً.

في مطلع سنة اليوبيل الخمسينية، كان كل عبري يعود إلى ملك آبائه وميراثهم منضماً إلى سبطه وعشيرته من جديد، بعد أن كان قد انفصل عنهما لأي سبب كان. ويرجع إلى حالته الأولى، تماماً مثلما كان في بدء استيطانه أرض فلسطين ـ بل قبل ذلك ـ دون أن يفكر في بيع أو شراء أو كسب أو خسران[١٨]. والقصد من هذا التشريع، على رأي الأب هـ. كازيل، هو تأمين الحفاظ على مجتمع مؤسس على الأسرة والخير العائلي بنوع خاص[١٩].

وحيث ان عام اليوبيل كان يفرض الرجوع إلى أسلوب الحياة البدوية، خصوصاً خلال سنة عطلة الأرض، فإن الله قد أصدر الأمر إلى كل بركاته السماوية لتجعل السنة السادسة السابقة لها معطاء خيّرة، بحيث تغطي غلّاتها الزراعية جميع احتياجات السنين الثلاث القادمة[٢٠].

كما أن بيع الأراضي الزراعية أو ما يشابهها: مثل القري والمدن

غير المحاطة بسنور، لن يكون قطعياً ولا نهائياً، بل يجوز فكّها عند المقدرة، أو ترد إلى أصحابها الأصليين في عام اليوبيل[٢١]. أما مدن اللاويين أو أملاكهم ـ وكانت لهم السدانة ـ فلا يجوز بيعها[٢٢]. إذ كانت مثل الأوقاف في أيامنا، لها حرمتها، فهي مكّرسة تماماً لمن ولما يكون دوماً في خدمة الله تعالى.

كذلك لا يجوز إقراض المال أو المأكل بالفائدة لكل من كان محتاجاً أو فقيراً[٢٣]. وإذا دفعت الفاقة بعضاً من اليهود إلى بيع أنفسهم عبيداً لغيرهم من اليهود، فيجب اعتبارهم كأجراء ونزلاء. ومن ثم تعطى لهم الحرية في عام اليوبيل[٢٤]. وليس ذلك لمنع العبودية لدى اليهود، بل أتيح لهم شراء العبيد والجواري من الشعوب والأمم التي هي غير يهودية. فيورثونها لأبنائهم إلى الأبد[٢٥]. أما إذا حدث العكس كأن أثرى شخص غير يهودي، واشترى عبيداً وإماء يهوداً، فلن يمكثوا في عبوديته إلى الأبد. بل يتوجب على الأغنياء من أعضاء أسرهم أن يبادروا إلى افتدائهم، وإلاّ فهم سيعتقون تلقائياً في عام اليوبيل[٢٦].

أقل ما يقال في هذا التشريع الخاص بالعبيد وتحريرهم هو مدى فصله وتمييزه بين أبناء الجنس البشري. فكأن الله سبحانه ملك لليهود وحدهم فقط دون سواهم: يتولاّهم ويرعى مصالحهم، ويذلّ غيرهم من الأمم والشعوب. فهو، إن دلّ على شيء، فإنما يثبت بصدق وصراحة نوعية العقلية اليهودية. لذلك كانوا يعيشون باستمرار منعزلين عن سائر الأمم والأقوام في كل زمان ومكان. وليس اغتصابهم لأراضي فلسطين وطردهم المتواصل لأبنائها العرب منها في أيامنا هذه، إلاّ دليلاً قاطعاً على بقاء تلك العقلية الغابرة البالية، خصوصاً لدى الصهاينة منهم. فهؤلاء يفصحون دوماً بتصرّفاتهم التعسفية تلك عن تمييز عنصري منقطع النظير. فعلى عالمنا المعاصر، المتحلّي بالانفتاح في شتّى الميادين والمجالات، أن يضع حداً نهائياً لذلك وبأقصى السرعة.

اليوبيل لدى الكاثوليك

على ما نعلم، لا تقام سنوات يوبيل دينية لدى المسيحيين الذين ليسوا بكاثوليك، كالأرثوذكس والبروتستانت مثلاً.

أما الكاثوليك فقد بدأوا يحتلفون باليوبيل الديني، منذ العصور الوسطى. ومما لا شك فيه أن عام اليوبيل، الوارد ذكره وتشريعه في العهد القديم كما مرّ بنا، قد استخدم كمثال للسنين المقدسة لدى المسيحيين الكاثوليك. إذ ليست السنة المقدسة عندهم سوى عام يوبيلي، فيه تغفر ذنوبهم وخطاياهم، فيتحرّرون من عبودية إبليس والشهوات ويتصالحون مع الله القريب، وذلك بالتوبة والعمل الصالح.

أول سنة مقدسة أعلنت لدى الكاثوليك، كانت في عهد البابا بونيفاس الثاني. فقد لاحظ هذا الحبر الجليل أن أسلافه منحوا بعض الغفرانات المحدودة لكل من زار الكنائس الكبرى في مدينة روما. ونزولاً لدى رغبة الزوّار الأتقياء، الذين وفدوا إلى روما في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، فقد اتخذ بونيفاس الثامن قراراً جريئاً حقاً. إذ منح غفراناً كاملاً لكل وافد تائب، يعترف بخطاياه، ويزور مرة واحدة في اليوم كنيسة القديس بطرس وكنيسة القديس بولس في روما ولمدى ثلاثين يوماً على التوالي بالنسبة لأهل روما نفسها. أما الذين لم يكونوا يسكنون المدينة الخالدة فقد منحوا تسهيلات، خفضت زيارتهم إلى خمسة عشر يوماً متوالياً فقط. وكان ذلك سنة ١٣٠٠ م. وختاماً للعام المذكور، أصدر البابا براءة أعلن فيها منح الغفران الكامل لجميع الزائرين الذين لم يتمكنوا من تنفيذ جميع متطلبات الحصول عليه، بسبب ظرف طارىء حال دون تحقيق أماني تقواهم تلك. كما أنه كان قد حدّد أن تكون السنة المقدسة واحتفالاتها عند مرور كل مائة عام(٢٧).

وفي يوم ٢٧ كانون الثاني ١٣٤٣، أقر البابا كليمانت السادس أن تقام السنة اليوبيلية المقدسة كل خمسين عاماً فقط، وأضاف وجوب زيارة

كنيسة ثالثة في روما، هي كنيسة القديس يوحنا اللاتراني. وبالفعل تم الاحتفال باليوبيل المقدس في سنة ١٣٥٠م[٢٨].

وفي سنة ١٣٨٩م، أضاف البابا أوربان السادس وجوب زيارة كنيسة رابعة: هي كنيسة القديسة مريم الكبرى في روما. كما أنه حدّد أن تكون مدة إقامة اليوبيل كل ٣٣ سنة (وهي المدة المقدّرة لعمر السيد المسيح على الأرض). غير أن قراره ذاك لم يكتب له العمر الطويل، إذ لم ينفّذ إلاّ مرّة واحدة فقط. ثم ان البابا نيقولا الخامس أعاد مدة إقامة اليوبيل إلى ٥٠ سنة. وأعلن اليوبيل واحتفل به في سنة ١٤٥٠م[٢٨].

وفي يوم ١٩ نيسان ١٤٧٠م. حدّد البابا بولس الثاني أن يقام اليوبيل كلّ ٢٥ سنة. وقد أكد ذلك البابا سيكست الرابع في يوبيل عام ١٤٧٥م. فأصبحت هذه المدة دارجة وسارية المفعول حتى في أيامنا الحاضرة هذه: إذ يحتفل المسيحيون الكاثوليك بالسنة اليوبيلية المقدسة لدى اكتمال كلّ ربع قرن من الزمان[٢٨].

أما مراسيم فتح الباب المقدس في مطلع عام اليوبيل، وغلقه من قبل البابا باحتفال مهيب لدى اختتام اليوبيل، مثلما حدث مؤخراً عام ١٩٧٥ في كنيسة القديس بطرس العظمى بروما، فيعود الفضل في إقرار ذلك إلى البابا الكسندر السادس في ٢٤ كانون الأول ١٤٩٩م. كما أن ثمّة مواسم أو ذكريات خاصة، تمنح فيها الغفرانات لدى الكاثوليك من قبل رئاسة كنيسة محلية، فيقام لذلك يوبيل اقليمي. ومثال ذلك ما حدث في سنة ١٨٩٦م، حيث احتفلت فرنسا بالذكرى المئوية الرابعة عشرة لاعتناق زعيمها كلوفيس المسيحية ولتنصّره بقبوله سرّ العماد المقدس[٢٨].

اليوبيل في المجتمع البشري

وقد انتقل تقليد اليوبيل - وهو ديني أصلاً كما رأينا - إلى مختلف

فئات المجتمع البشري الدنيوي والعلماني في أيامنا. فراحت تلك الفئات أو الجماعات أو العائلات تغتنم الفرص والمناسبات لإقامة احتفالات اليوبيل الفضي (ويساوي ٢٥ سنة)[٢٩]، أو الذهبي (ويساوي ٥٠ سنة)، أو الألماسي (ويساوي ٧٥ سنة)، أو المئوي (ويقام كل مائة عام)....

ومن المناسبات الكريمة، التي يحيا الناس ذكراها بيوبيل في عالمنا المعاصر، هي أيام الميلاد أو الوفاة، أو الزواج، أو ذكرى تقلّد منصب جيّد ومرموق أو تأسيس هيئة أو كلية أو جيش أو حزب أو قرية أو مدينة... أو ما شاكل ذلك.

اليوبيل في اللغة

خلال القرن الأول قبل الميلاد، اجتمع في مدينة الاسكندرية في مصر سبعون من علماء الدين اليهود، حيث قاموا بنقل التوراة العبرية إلى اللغة اليونانية، وإذ لم يجدوا في اللغة الاغريقية كلمة تعبر عن معنى اليوبيل، تركوها على حالها تقريباً وقالوا: Ioubnhwios.

ولّما طغت الثقافة الرومانية على اليونانية. وأخذت المسيحية تشع وتنتشر، نقلت التوراة إلى اللغة اللاتينية خلال القرن الرابع الميلادي. فترجم اللاتين كلمة اليوبيل بإحدى هاتين الصّيغتين Jubilaeus و Jubilum، وهكذا أثروا في اللفظتين الفرنسية Jubilé والانجليزية Jubilee. في حين أن الألمان يقولون Jubel، مبقين على اللفظة العبرية كلمة عبرية على أصلها، تماماً مثلما وردت في كتب التوراة العبرية.

وإن لفظة اليوبيل اسم للآله التي بها كان يعلن عام اليوبيل، وقد سمع صوت الهتاف بها مرّتين، في ظرفين عصيبين بل خطيرين. ولقد حدث ذلك أوّلاً في لحف جبل سيناء من أجل دعوة الشعب إلى الاقتراب من الجبل المقدس (٢٩ ب). وحدث ذلك ثانية عند الطواف حول مدينة ايريحا في سبيل إسقاط أسوارها (٢٩ ب). وفي ما عدا

ذلك، لم ير ذكر كلمة اليوبيل في التوراة العبرية إلاّ بخصوص شريعة عام اليوبيل مثلما أسلفنا. وإن هـ. لزيتر يختم مقاله قائلاً: «لم يكن اليوبيل آلة خاصة، بل كان على الأغلب قرناً أو بوقاً اعتيادياً، مثلما يبين ذلك استخدامه في سيناء وفي ايريحا. ثم أن سفر اللاويين (٢٥, ٩) يقول بأنه كان ينفخ في الشوفار أي البوق لاعلان عام اليوبيل. فإذا كان ذلك الشوفار يصبح يوبيلاً، إما بالنفخ به بشكل خاص أو بمجرّد حلول المناسبة» (٢٩ ب).

ثم ان هناك نقشاً فينيقياً يؤكد ويثبت أن معنى كلمة اليوبيل هو الكبش أصلاً. ثم انتقل ذلك المعنى إلى قرن الكبش فقط، ثم إلى الصوت الذي يحدثه القرن عند النفخ به، ثم إلى مناسبة النفخ به في عام اليوبيل بالذات. وإن الكتبة في التلمود اليهودي ترجموا لفظة اليوبيل نفس هذا المعنى، أي الكبش، مستندين في ذلك إلى المعنى الذي تحتويه يضاً اللفظة العربية (٢٩ ب). فالكبش في العربية آلة قديمة، كان يقذف بها على الجدران والأسوار للمدن المحاصرة، فكأنها كبش ينطحها بقوة فتتهدم.

ولكن مما لا شك فيه أن أصل كلمة يوبيل سامي هو، وقد سلمه إلينا أجدادنا الساميون بفرعهم العبري، وأن الفعل الثلاثي المجرّد، الذي منه بني أصل هذه الكلمة، موجود بشكل أو آخر لدى جميع الأقوام. فالأكديون ـ آشوريين كانوا أم بابليين ـ قد استعملوا فعل وبالو بمعنى حمل أو نقل.

أما العرب فقد قالوا وبل بمعان كثيرة أهمها أمطر أو اشتد. وان المعاجم العربية (ومنها المنجد مثلاً) تقدم لنا وزنين اثنين للفعل الذي نحن بصدد دراسته الآن:

١ ـ وبل يبل (بفتح الباء في الماضي وكسرها في المضارع). يعني أولاً ضربا متتابعاً بالعصا، وثانياً طرد الصيد بشدة، وثالثاً نزول المطر بشدة.

٢ ـ وبل يوبل (بضم الباء في الماضي والمضارع) يعني أولاً اشتداد الشيء، وثانياً وخم المكان. وهذا المضارع نطقه قريب جداً من لفظة يوبيل العبرية لولا أن ياءه مضمومة بل مكسورة، ولكن...

ومن مزيداته: وابل بمعنى واظب، واستوبل بمعنى استوخم: واستوخمت الابل بمعنى تمارضت من وبال موقعها.

ومن اشتقاقاته: الوابل المطر الشديد، والوابلة بمعنى طرف رأس العضل أو الفخذ، والوبل (بتسكين الباء) أيضاً هو بمعنى المطر الشديد، والوبال هو الشدة والوخامة وسوء العاقبة، والوبيل هو خشبة يضرب بها الناقوس ومدقة القصّار لدق الثياب المغسولة والشديد والقضيب اللين والخ...

أما وزنه المزيد أفعل (اوبل) ـ وهو الذي يهمنا هنا ـ فإن مضارعه يوبل، وهو يكاد يكون مطابقاً للفظة يوبيل العبرية لو لم تمدّ باءها، فلم يأت على لسان العرب على ما يبدو، وذلك لأن معاجمهم لم تسجلّ هذا الوزن المطلوب هنا مع الأسف. بينما صاغ لنا اليهود العبرانيون، مثلما أسلفنا، لفظة «اليوبيل» عندما فرض عليهم ناموس موسى بأن يحتفلوا بسنة اليوبيل كلمة عبرية المقدسة كل خمسين سنة. غير أنهم لم يستعملوا الفعل الثلاثي الذي منه اشتقت كلمة اليوبيل.

أما الآراميون فقلما استعملوا الفعل الثلاثي في حين قد أورد لنا سفر عزرا[٣٠] الآرامي في التوراة وزن المزيد: ومعناه نقل أو حوّل. وقد اقتدى بالآراميين فيما بعد أحفادهم السريان حيث قللوا جداً استعمال وزن الثلاثي. ولكنهم استعملوا بكثرة وزن المزيد بمعنى نقل وأوصل[٣١]. كما أنهم أكثروا من استعمال وزن المضعّف، وبمعان متعددة، منها: خلّف وسلّم ونقل وأخبر وأرّخ. أما مصدره فهو ، وكان يصلح، تماماً لمعنى اليوبيل. إلاّ

أن السريان، بعدما تنصروا وتأثروا باليونان، ترجموا كلمة اليوبيل، في نسخة التوراة السريانية البسيطة: باليونان، بلفظة : وهي النسبة المذكرة المجموعة التي صاغوها من المصدر السابق. وقد يكون ذلك بفعل التأثير اليوناني.

ثانياً: سفر اللاويين ٢٥

١ وكلم يهوه موسى في جبل سيناء قائلاً: ٢) كلم بني إسرائيل وقل لهم: متى دخلتم الأرض التي أنا معطيكم، فلتعطل الأرض سبتا ليهوه. ٣) ست سنين تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك واجمع غلاتها. ٤) وفي السنة السابعة تكون عطلة راحة الأرض سبت ليهوه: حقلك لا تزرع وكرمك لا تقضب. ٥) خلفة حصيدك لا تحصد، وعنب نذرك لا تقطف. سنة عطلة تكون للأرض. ٦) وليكن سبت الأرض طعاماً لك ولعبدك ولأمتك ولأجيرك ولنزيلك الساكنين معك. ٧) ولبهيمتك وللحيوان الذي في أرضك، تكون جميع غلاتها مأكلاً.
٨)واحسب لك سبعة أسابيع من السنين: سبع سنين سبع مرات، فتكون لك أيام أسابيع السنين السبعة تسعة وأربعين سنة. ٩) وانفخ في بوق الهتاف، في اليوم العاشر من الشهر السابع: في يوم الكفارة تنفخون في البوق في كل أرضكم. ١٠) وقدسوا عام الخمسين سنة، ونادوا بعتق في الأرض لجميع سكانها فتكون يوبيلاً لكم: وعودوا كل امرىء إلى ملكه، بحيث ترجعون كل واحد إلى أسرته. ١١) يوبيلاً يكون لكم عام الخمسين سنة: فلا تزرعوا ولا تحصدوا خلفته ولا تقطفوا نذره. ١٢) لأنه يكون لكم يوبيلاً مقدساً. فمن الحقل تأكلون غلاّته١٣) في عام اليوبيل هذا، ترجعون كل امرىء إلى ملكه. ١٤) وإذا قمت ببيع لمواطنك أو بشراء من لدن مواطنك، فلا يغبن المرء أخاه. ١٥) بعدد السنين عقب اليوبيل، تشتري من مواطنك. وعلى عدد سني الغلات يبيع لك. ١٦) بحسب كثرة السنين، تكثر له الثمن، وعلى حسب قلة السنين

تقلل له الثمن. لأنه يبيع لك عدداً من الغلات. ١٧) فلا يغبن المرء مواطنه. بل اتق إلهك: لأني أنا يهوه الهكم.

١٨) فاعملوا بسنني، وأحكامي احفظوها، فتأكلوا إلى حد الشبع وتسكنوا بأمان عليها.

٢٠) وإذا قلتم ماذا نأكل في السنة السابعة، إذ لن نزرع ولن نجمع غلاتها؟ ٢١) فقد أوصيت بركتي لكم في السنة السادسة لتصنع الغلة لثلاث سنين. ٢٢) وازرعوا السنة الثامنة، وأنتم تأكلون غلة قديمة حتى السنة التاسعة: فحتى تجيء غلتها، تأكلون القديمة. ٢٣) والأرض لن تباع بتاتاً، لأن الأرض لي: وأنتم غرباء ونزلاء عندي. ٢٤) وفي جميع أرض ملككم، أعطوا فكاكاً للأرض. ٢٥) فان افتقر أخوك، وباع من ملكه فليأت فاكّه الأقرب إليه وليفك ما باعه أخوه. ٢٦) وأي امرىء ليس له فاكّ، ونالت يده بحيث وجد مقدار فكاكه، ٢٧) فليحسب سنوات بيعه، ويرد الفاضل إلى الرجل الذي باع له ويرجع إلى ملكه. ٢٨) وإذا لم تجد يده مقدار ما يرده إليه، فليبق ما باعه في يد المشتري إلى عام اليوبيل: ومن ثمّ فليخرج في اليوبيل ويرجع إلى ملكه.

٢٩) وأي امرىء باع بيت سكني داخل مدينة مسَّورة، فليكن له فكاك عند انقضاء عام على بيعه: وعدّا بالأيام يحق له الفكاك. ٣٠) وإذا لم يفك بعد مرور عام كامل، فليبق البيت الذي في المدينة ذات الاسوار لمشتريه ولأجياله، ولا يخرج في اليوبيل. ٣١) أما بيوت القرى التي لا سور محيط لها فتعد كحقل الأرض. ويكون لها فكاك وتخلى في اليوبيل. ٣٢) أما مدن اللاويين وبيوت مدن ملكهم فهي تكون فكاكاً أبدياً لهم. ٣٣) ومن يفتك من اللاويين، فليخرج من بيع بيت ومدينة ملكه في اليوبيل. لأن بيوت مدن اللاويين تبقى ملكاً لهم في وسط بني إسرائيل. ٣٤) وحقل حراثة مدنهم لن يباع، لأنه ملك أبدي لهم.

٣٥) ومتى افتقر أخوك وقصرت يده معك، فساعده كالغريب

والنزيل والعائش معك. ٣٦) لا تأخذ منه فائدة وربا. بل اتق إلهك، وليعش أخوك معك. ٣٧) لا تقرضه فضتك بالفائدة، ولا تعط طعامك بالربا: ٣٨) أنا يهوه إلهكم، الذي أخرجتكم من أرض مصر لأعطيكم أرض كنعان ولأكون لكم الله.

٣٩) ومتى افتقر أخوك معك، وباع نفسه لك، فلا تستخدمه كاستخدام العبد. ٤٠) بل كأجير وكنزيل يكون معك: إلى عام اليوبيل يشتغل معك. ٤١) وليخرج من عندك هو وبنوه معه، وليرجع إلى أسرته، وإلى ملك آبائه يعود. ٤٢) لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر، فلا يباعون مثل بيع العبيد. ٤٣) لا تتسلّط عليه بقهر، بل اتق إلهك.

٤٤) أما عبدك وأمتك اللذان يكونان لك، فمن الأمم المجاورة لكم. فمنها تشترون عبدا وأمة. ٤٥) وكذلك من أبناء النزلاء الساكنين معكم: تشترون منهم ومن أسرهم التي عندكم: الذين ولدوا في أرضكم، فليكونوا لكم ملكاً. ٤٦) وأورثوهم لأبنائكم من بعدكم ارث ملك أبدي: اياهم تستعبدون. أما اخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط أحدهم على أخيه بقهر.

٤٧) ومتى نالت يد غريب أو نزيل معك، وافتقر أخوك معه فباع نفسه للغريب النزيل معك أو لنسل أسرة الغريب، ٤٨) فبعدما يبيع له نفسه فليكن له فكاك: واحد من اخوته يفكه، أو حتى تنال يده فيفك نفسه. ٥٠) وليحاسب المشتري منذ سنة بيعه له وإلى سنة اليوبيل، ولتكن فضة بيعه على عدد السنين، كأيام أجير يكون معه. ٥١) فإذا كانت السنين لا تزال كثيرة، فعلى حسابها يرد فكاكه من فضة شرائه. ٥٢) وإذا بقي قليل من السنين إلى عام اليوبيل، فليحاسبه على عدد السنين ويرد فكاكه. ٥٣) فهو يكون معه مثل الأجير السنوي: فلا يتسلط عليه بقهر أمام عينيك.

٥٤) وإذا لم يفك خلال تلك (السنين)، فليخرج في عام اليوبيل هو وبنوه معه. ٥٥) لأن بني إسرائيل عبيد لي: انهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر، أنا يهوه إلهكم.

نداء لاجراء مقارنة

ولدى اختتام مطالعتنا لهذا النص، نود أن نبعث بندائنا إلى كل رجال القانون العاملين في الأقطار العربية جمعاء، وذلك حتى نجذب انتباههم إلى الفائدة العظيمة الكامنة في اجراء دراسة مقارنة لهذا النص العبري القديم. ولا بد لها من أن تكون دقيقة وشاملة لشرائع الحضارات الإنسانية الكبرى السابقة للميلاد: انطلاقاً من مختلف الحضارات السامية، كالأكدية بفرعيها الأكبرين الآشوري والبابلي، ثم الآرامية السريانية، وأخيراً العربية. كما أنه ينبغي المرور بالحضارة المصرية الفرعونية وأيضاً بالفارسية القديمة، وأخيراً باليونانية والرومانية. ومن ثم سيتسنّى الكشف عن مدى تأثر بعضها ببعض، وذلك على ضوء حضاراتنا وثقافاتنا المعاصرة ولا سيما متى أبرز الدور الفعال، الذي قد تكون لعبته الحضارة العربية على مر الأجيال في مثل هذا المجال.

ففي مجال مثل هذه الدراسة المقارنة، نود أن نشير إلى بحث أجراه س. هـ. جوردون: فيقول بأنه في دراسته لآجرّات فخارية، كشف عنها النقاب في نوزي الآكدية، قد وجد عدة تشابهات ما بينها وبين الشرائع التوراتية. ومن أوجه الشبه هذه: قصة سارة وهاجر، وقصة لابان وابنتيه، وآثار الحق الأخوي (وجوب زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفي بدون نسل لينجب منها ولداً لأخيه)، وحالة بنات زيلوفيمار الخمس: حيث كان أبوهن بلا ولد ذكر فورثنه هن [٣٢]، وأخيراً شرعة السنة السابعة واليوبيل: وهو موضوع بحثنا هنا.

ففي سفر اللاويين، ٢٥، ١٠، مهما كان معنى **أندوراري** الآكدية في حضارة نوزي، فإنها شديدة الشبه بلفظة كلمة عبرية التي تعني

بالعبرية العتق، والتي كان يمنح بها عتقا دورياً، كما كانت القوانين النوزية تفعل[٣٣]. وفي المجال نفسه، يقترح باحثنا المعادلات الآتية: **شودوتو أو شوطوتو** = سنة سابعة، **اندورارو** = يوبيل، علمًا بأن اللفظتين الأوليين واردتان أكثر من اللفظة الأخيرة، وذلك دون تقيد بالتفصيلات[٣٤]. كما أننا نعرف أن المقابيين قد تمسّكوا بالسنة اليوبيلية. حيث تورد لنا ترجمة التوراة السبعينية قصة حربهم مع الملك انطيوكس أوباطور الذي «عقد صلحاً مع أهل بيت صور، فخرجوا من المدينة لنفاد الطعام لديهم مدة حصرهم فيها، إذ كان سبت للأرض.. ولم يكن في أوعيتهم طعام لأنها كانت السنة السابعة، وكان الذين لجأوا إلى اليهودية من الأمم قد أكلوا ما فضل من الذخيرة»[٣٥]. وكذلك تمسك بسنة اليوبيل اليهود الذين عاشوا في أيام يوسيفوس وتاسيت المؤرخين[٣٦].

كما أننا نلاحظ أن وصية تحرير العبيد اليهود في السنة السابعة، المذكورة في سفر التثنية، ١٥، ١٢ ـ ١٨، مبنية على شريعة أقدم وردت في سفر الخروج، ٢١، ٢ ـ ٦. وهذه بدايتها: «إذا ابتعت عبداً عبرانياً فليخدمك ست سنين، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً...» وإن ارميا النبي يؤكد في الفصل ٣٤، ٨ ـ ٢٢ شاكياً من أن تحرير العبيد يوبيليا أمسى في زمانه عبارة جوفاء.

وعن كيفية مطالعة أسفار التوراة، يضيف س. هـ. جوردون أن الكتاب المقدس يبقى مضلّلاً لولا حصولنا على بعض المعارف والحقائق التاريخية لمجريات الشرق الأوسط القديم. كما أنه يلزمنا بأن نميل إلى كثير من الحذر في تحديد التواريخ لمواد العهد العتيق[٣٧].

إن هذا المثال للدراسة المقارنة بين شرائع التوراة وشرائع نوزي الاكدية، يظهر لنا التقارب والتفاعل في أصول مختلف الحضارات البشرية التي تعاقبت متوارثة وانبثقت مشعّة من وادي الرافدين، فأنارت كل ما

حولها من البلاد والأقوام. أما باقي أوجه المقارنة مع الحضارات الأخرى، فهل لنا أن نلقيه على كاهل الاختصاصيين من الآثاريين والمؤرخين والقانونيين العرب وغيرهم، إذ ليس لنا باع طويل في مثل هذه الميادين؟.

هوامش الدراسة

(١) إن كلية الآداب التابعة لجامعة بغداد احتفلت بيوبيلها الفضي في أيام ٢٢ ـ ٢٤ من شهر آذار ١٩٧٧. علمًا بأن هذه الكلية تأسست في خريف عام ١٩٤٩م.

(٢) سفر اللاويين ٢٥، ١٠.

(٣) L.F. Hartman & G. Vollegregt, **Jubilee Year,** dans **Encyclopedie Dictionary of the Bible,** Turnhot (Belgium) 1963, col. 1224.

(٤) H. Cazelles, **Le Lévitique**, dans **La Sainte Bible de Jérusalem,** Paris 1956, p. 7, col. 1.

(٥) سفر الخروج ٢٠، ٨ ـ ١٠.

(٦) سفر الخروج ٢٣، ١٠ ـ ١١.

(٧) سفر اللاويين ٢٥، ٢ ـ ٧.

(٨) سفر التثنية ١٥، ١ ـ ١١.

(٩) سفر الخروج ٢١، ٢ وسفر التثنية ١٥، ١٢ ـ ١٨.

(١٠) سفر أرميا ٣٤، ٨ ـ ٢٢.

(١١) سفر اللاويين ٢٥، ٨ ـ ١٧.

(١٢) إن سفر أشعيا النبي يشير إلى ذلك في الفصل الـ ٦١، ١ ـ ٢.

(١٣) سفر اللاويين ٢٥، ٩. وكذلك أيضاً هامشنا الـ (١٥).

(١٤) سفر اللاويين ١٦، ٢٩ ـ ٣٤.

(١٦) سفر الخروج ١٢، ٢.

(١٧) K. Hrubi, **La fête de Rosh Ha-Shanah,** dans **Mémorial de Mgr Gabriel Khouri-Sarkis (1898-1968),** Louvain 1969, p. 52-53.

(١٨) سفر اللاويين ٢٥، ١٠ ـ ١٩.

(١٩) H. Cazelles, **Le Lévitique,** dans **La Sainte Bible de Jérusalem,** Paris 1956, p. 131, col. 1 et 2, note e).

(٢٠) سفر اللاويين ٢٥، ٢٠ ـ ٢٢.

(٢١) سفر اللاويين ٢٥، ٢٣ ـ ٣١.

(٢٢) سفر اللاويين ٢٥، ٣٢ ـ ٣٤.

(٢٣) سفر اللاويين ٢٥، ٣٥ ـ ٣٨.

(٢٤) سفر اللاويين ٢٥، ٣٩ ـ ٤٣.

(٢٥) سفر اللاويين ٢٥، ٤٤ ـ ٤٦.

(٢٦) سفر اللاويين ٢٥، ٤٧ ـ ٥٥.

(٢٧) B. Loth & A. Michel, **Jubilé,** dans **Dictionnaire de Théologie Catholique,** t. 16 (1963), col. 2695.

(٢٨) E. Loth & A. Michel, **Idem,** col. 2695.

وهناك من يقيم اليوبيل بعد مرور ثلاثين أو ستين عاماً على ذكرى قيام الثورة أو ميلاد الحزب. وهذا ما حدث في العراق فعلاً: حيث شاهدت بغداد والمحافظات احتفالات حزب البعث العربي الإشتراكي في ٧ نيسان ١٩٧٧ بذكرى ظهوره على الأمة العربية كقائد نضالاتها ومرتجى آمالها في الوحدة والحرية والإشتراكية، وذلك منذ تأسيسه في السابع من نيسان ١٩٤٧م.

(٢٩) H. Lesetre, **Jubilé,** dans **Dictionnaire de la Bible,** t. 3 (1903), col. 1754.

(٣٠) سفر عزرا ٥، ١٤ وعزرا ٦، ٥.

(٣١) إن هذا الوزن، بمختلف مشتقاته، كثير الإستعمال في اللهجات السريانية الدارجة حالياً، والتي يسمّيها الناطقون بها سورث.

(٣٢) سفر العدد ١٧، ٣.

(٣٣) C.H. Gordon, **Parallèles nousiens aus lois et coutumes de l'A.T. V-L'an-née sabbatique et le jubilé,** dans **Revue Biblique,** t. 44 (1935), p. 59.

(٣٤) **Idem,** p. 39-40.

(٣٥) سفر المقابيين الأول ٦، ٤٩ و٥٣.

Idem, p. 40. & J.D. Eisenstein, **Sabbatical Year and Jubilee,** dans **Jewish Encyclopedie,** t. 10, col. 605-608.

C.H. Gordon, **Idem,** p. 40-41.

هوامش النص

ـ العدد ١٠: يقارن مع سفر الخروج ٢١، ٢ ـ ١١ والتثنية ١٥، ١٢ ـ ١٨ وأرميا ٣٤، ٨ ـ ٢٢ وأشعيا ٦١، ١ ـ ٣.

ـ العدد ٢٥: يقارن مع سفر راعوث ٤، ١ ـ ١٢.

ـ العدد ٣٢: يقارن مع سفر العدد ٣٥، ١ ـ ٨ ويشوع ٢١ وحزقيال ٤٨، ١٣ ـ ١٤.

ـ العدد ٣٨: يقارن مع سفر اللاويين ٢٢، ٣٢ ـ ٣٣.

ـ العدد ٣٩: يقارن مع سفر الخروج ٢١، ٢ ـ ١١ والتثنيه ١٥، ١٢ ـ ١٨ وأرميا ٣٤،

. ٢٢ ـ ٨

ـ العدد ٤٨ : يقارن مع سفر نحميا ٥، ٨.

ـ العدد ٥٥ : يقارن مع سفر اللاويين ٢٢، ٣٢ ـ ٣٣.

ملاحظة : إن هذه المقارنات تساعد القارىء، إن هو أجراها بجدية، على اكتشاف شيء مهم جداً في ما يختص بطريقة تدوين الأسفار المقدسة. فيرى كيف أن الكتبة الكثيرين، الذين عاشوا في أزمنة وأمكنة مختلفة، لجأوا إلى اقتباسات خارجية وغير يهودية أحياناً، وغي الغالب استعانوا في كتاباتهم بما كان قد خلّفه أسلافهم من الأنبياء والمشرّعين ومن الحكماء والمؤرخين.

مصادر البحث

BIBLIOGRAPHIE

A. LEMOINE. **Le jubilé dans la Bible,** dans **La Vie spirituelle** (octobre 1949), p. 262-288.

A. LESETRE. **Jubilaire (Année),** dans **Dictionnaire de la Bible,** t. 3 (1903), col. 1750-1754.

A. LESETRE. **Jubilé,** dans **Dictionnaire de la Bible,** t. 3 (1903), col. 1754.

A. VERMEERSCH. **Tractatus de jubilaeo,** Rome 1925.

B. LOTH& A. MICHEL.**Jubilé,** dans **Dictionnaire de Théologie Catholique,** t. 16. col. 2695-2698.

C.H. GORDON. **Parallèles nousiens aux lois et coutumes de l'A.T. V- L'année sabbatique et le jubilé,** dans **Revue Biblique,** t. 44 (1935), p. 38-41.

C.H. GORDON. **Un nouveau parallèle akkadien pour Deutéronome XXV, 11-12,** dans **Journal of Palestine Oriental Society,** t. 15 (1935).

G. LAMBERT. **Le jubilé de 1950,** dans **Nouvelle Revue Théologique** (1949), p. 923-936.

H. CAZELLES. **Le Lévitique,** dans **La Sainte Bible de Jérusalem,** ed. du Cerf. Paris 1956.

J.B. ALEXANDER. **A Babylonian Year of Jubilée,** dans **Journal of Bilicanl Literature,** t. 57. p. 75-79.

J.D. EISENSTEIN. **Sabbatical Year and Jubilee,** dans **Jewish Encyclopedie,** t. 10. col. 605-608.

J. LECLER. **Boniface VIII et le jubilé de 1300,** dans **Etudes,** (1950), p. 145-147.

K. HRUBY. **La fête de Rosh Ha-Shanah,** dans **Mémorial Mgr Gabriel Khouri-Sarkis (1898-1968), Louvain 1969, p. 47-70.**

L. F. HARTMAN & G. VOLLEGREGT. **Jubilee Year,** dans **Encyclopedie Dictionary of the Bible,** Turnhout (Belgium) 1963, col. 1224-1225.

R. KITTLE, **Biblia Hebraica,** (14ème éd. anastatique de 1937), Stutgart 1966.
R. NORTH, **Sociology of the Biblical Jubilee,** dans **Anal. Bibl. 4,** Rome 1954.
The Holy Scriptures of the Old Testament, Hebrew & English. The British & Foreign Bible Society, London 1957.

الدكتور يوسف قوزي
قسم الدراسات الشرقية
كلية الآداب ـ جامعة بغداد